

رسالة

فضل أهل البيت وحقوقهم

لشيخ الإسلام
ابن تيميّة
رحمه الله

تعليق
أبي تراب الظاهري
عفا الله عنه



دار القبلة للثقافة الإسلامية
المملكة العربية السعودية ــ جدة : ص. ب ٩٣٦٧ ــ الرياض : ص. ب ١٤٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة

فضل أهل البيت وحقوقهم

لشيخ الإسلام

ابن تيميّة

رحمه الله

تعليق

أبي تراب الظاهري

عفا الله عنه

الطبعة الأولى
١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٤ م

بسم الله حامداً ومصلياً

قال أبو تراب :

هذه رسالة ، نادرة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه وجدتها في كُنَّاشَتِي ، وهي على صغر حجمها جليلة القدر ، لَمْلَمَتْ بين ثناياها أطراف موضوعها من جميع الجوانب ، كعادة ابن تيمية إذا تكلم في مسألة فهو بحر موّاج يَبْعُدُ عليك الوصولُ إلى ساحِلِهِ .

ومحتوى الرسالة كما أنبأ عَنه عنوانُها ــ بيان مذهب السلف في شعبةٍ من شُعب الإيمان ــ التى تتعلق بأعمال القلب وهى حُبّ أهل بيت النبوة كما دلّ عليه القرآن والحديث ، وقد أوضح ذلك في هذه الرسالة أتمَّ إيضاح ، وكلامه عن ذلك في الفتاوى الكبرى (جـ ٣ ص ١٥٤) وهو فى العقيدة الواسطية ما نصُّه :

« ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولّونهم ، ويحفظون فيهم وصية رسول

الله ﷺ ، حيث قال يوم غديرٍ خُمّ : (أُذكركم الله في أهل بيتى) وقال للعباس عمّه ــ وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم ــ : (والذى نفسى بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتى) وقال ﷺ : (إن الله اصطفى بنى إسماعيل ، واصطفى من بنى إسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم »

وقال في الفتاوى (جـ٣ ص٤٠٧) وهو فى الوصية الكبرى (ص ٢٩٧) ما نصه : «آل بيت رسول الله ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها ، فإن الله جعل لهم حقا في الخمس والفىء ، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ فقال لنا : (قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة هكذا قال الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما من العلماء رحمهم الله ، فإن النبى ﷺ قال : (إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد) وقد قال الله في كتابه : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وحرم الله عليهم الصدقة لأنها أوساخ الناس . وفي المسانيد والسنن أن النبى ﷺ قال للعباس : ــ لما شكا إليه جفوة قوم

لهم ــ (والذى نفسى بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلى) وفي الصحيح أنه قال : (إن الله اصطفى .... الحديث المذكور) .

وأورد شيخ الإسلام ابن تيمية فى درجات اليقين (ص ١٤٩) قوله ﷺ : « أحبّوا الله لمَا يغذوكم من نِعَمِه وأحبونى لِحبِّ الله وأَحِبُّوا أهل بيتى لحبى » .

وقال ابن تيمية فى اقتضاء الصراط (ص ٧٣) الحجة قائمة بالحديث . وقال فى (ص ٨٩) وانظر إلى عمر بن الخطّاب حين وضع الديوان فبدأ بأهل بيت رسول الله ﷺ .

ونقل العلاّمة السيد حامد المحضار فى الجزء الذى جمع فيه أقوال الشيخين ابن تيمية وابن القيم (ص ٢٣) قول شيخ الإسلام فى رسالة « رأس الحسين » عقب حديث : والذى نفسى بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم لله ولقرابتى : فإذا كانوا أفضل الخلق فلا ريب أن أعمالهم أفضل الأعمال .

هذا والأحاديث في فضائل أهل البيت النبوى مستفيضة في المسانيد والمعاجم والسنن والمصنّفات ، وفيها الضعيف والموضوع مع الصحيح ، وقد ميز بينها نقّاد المحدثين ، ومعظمها في جامع المسانيد لابن كثير والجامع الكبير للسيوطى وكنز العمّال

للمتقى ، ونقد بعضها ابن كثير في تفسيره (ج ٣ ص ٤٨٣) وللمحب الطبرى فى ذلك تأليف مفرد سماه : ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى ، وانظر شرف بيت النبوة فى جلاء الأفهام لابن القيم (ص ١٧٧) ولغلاة الشيعة فيها تآليف مفردة فيها من المنكر شيء كثير ، وحسبنا ما صحت به الرواية ، وجاء به الحديث الثابت ، قال ابن كثير (ج ٤ ص ١١٣) :

« ولا ننكر الوصاة بأهل البيت ، والأمر بالإحسان إليهم وإحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرّية طاهرة من أشرف بيت وُجد على وجه الأرض فخراً وحَسَباً ونَسَباً ، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسُنَّة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه ، وعليّ وأهل بيته وذرّيته رضى الله عنهم أجمعين » .

وفي صحيح البخارى : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته ، وقال لعليّ رضى الله عنهما : والله لقرابة رسول الله ﷺ أحَبُّ إليّ أن أصِلَ من قرابتي ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للعباس رضى الله عنه : والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحَبَّ إلى من إسلام الخطّاب لو أسلم ، لأن إسلامك كان أَحَبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطَّاب .

وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضى الله عنه أنه ﷺ خطب فقال : « إنى تارك فيكم الثَّقَلَيْن كتاب الله وأهل بيتى » ورواه الإمام أحمد والنسائى والترمذى وفي رواية : « كتاب الله وعترتى وإنهما لم يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فآنظروا كيف تخلفونّى فيهما » .

وروى ذلك أيضاً أبو ذر وأبو سعيد وجابر وحذيفة بن أسيد رضى الله عنهم وأورده ابن تيمية فى الفرقان ص ١٦٣ وفى لفظ مسلم : أذكركم الله فى أهل بيتى .

قال الطيبى كما فى تحفة الأحوذى (ج ٤ ص ٣٤٣) : لعلّ السّرَ في هذه التوصية واقتران العترة بالقران أن إيجاب محبّتهم لائح من معنى قوله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى ﴾ فإنه تعالى جعل شكر إنعامه وإحسانه بالقرآن منوطاً بمحبّتهم على سبيل الحصر فكأنه ﷺ يوصى الأمة بقيام الشكر ، وقيّد تلك النعمة به ، ويحذرهم عن الكفران ، فمن أقام بالوصية ، وشكر تلك الصنيعة بحسن الخلافة فيهما لن يفترقا ، فلا يفارقانه في مواطن القيامة ومشاهدها حتى يردا الحوض ، فشكر صنيعه عند رسول الله ﷺ حينئذ هو بنفسه يكافئه ، والله تعالى يجازيه الجزاء الأوفى ، فمن أضاع الوصية وكفر النعمة

فحكمه على العكس ، وعلى هذا التأويل حَسُنَ موقع قوله : « فانظروا كيف تخلفوني فيهما » أى تأملوا وتفكروا واستعملوا الرَّويَّة فى استخلافى اياكم هل تكونون خَلَفَ صِدْقٍ أو خَلَفَ سوء » .

هذا وفى الرسالة فوائد يحرص أهل العلم على اقتناصها كمسألة اعطاء آل البيت من الزكوات .

وكمسألة تخصيص أصحاب الكساء من عموم أهل البيت الذين نزلت فيهم الآية المذكورة في الأحزاب » ﴿ إنما يريد الله لِيُذْهِبَ عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾وهم ذوو قرباه وأزواجه اللّاتى سيقت الآيات فيهن وفي مخاطبتهن وتنظير ذلك بالمسجد الذى أسس على التقوى ، وهو مسجد قباء وعلى الأخص مسجد النبى ﷺ .

وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً فى تفسير المعوذتين وقال : فالتخصيص لكون المخصوص أولى بالوصف .

وكمسألة سيادة الحسن دون الحسين رضى الله عنهما وتنظير ذلك باسحاق وإسماعيل عليهما السلام إلى غير ذلك مما تجده فيها .

وعملى في هذه الرسالة هو تحرير النص من شوائب التصحيف والتعليق عليه بما تيسّر وتخريج الأحاديث الواردة فيها ، ثم ذيّلتها بضميمة ملحقة منفردة جمعت فيها أحاديث فضائل أهل البيت من الصحيحين والأربعة ، والمستدرك والمسند ، والجامع الكبير ، وكنز العمّال للمتقى وغيرها وبالله التوفيق .

في ٢٧ شهر رمضان المبارك ١٤٠٤ هـ

وكتـب
أبو تراب الظاهرى
عفا الله عنه

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم العامل فريد عصره ، مفتى الفرق ، شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام العالم شهاب الدين عبد الحليم بن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين عبد السلام بن تيمية رضى الله عنه وأرضاه ، وأعلى درجته :

هذا الكتاب إلى من يصل إليه من الإخوان المؤمنين الذين يتولون الله ورسوله والذين آمنوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون . الذين يحبون الله ورسوله ، ومن أحبه الله ورسوله ، ويعرفون من حق المتصلين برسول الله ما شرعه الله ورسوله ، فإن من محبة الله وطاعته محبة رسوله وطاعته ، ومن محبة رسوله وطاعته محبة من أحبه الرسول وطاعة من أمر الرسول بطاعته ، كما قال تعالى :﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾.

وقال النبى ﷺ : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن عصى أميرى فقد عصانى[1] » . وقال ﷺ فيما رواه عنه أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه : « إنما الطاعة فى المعروف[2] » . وقال : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق[3] » .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فإنا نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير ، ونصلى على إمام المتقين ، وخاتم النبيين محمد عبده ورسوله ، ﷺ تسليما كثيراً . أما بعد :

---

(١) قال أبو تراب : رواه الإمام أحمد والشيخان والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة .

(٢) قال أبو تراب : هذه قطعة حديث أخرجه البخارى ومسلم ، ونصه عند البخارى . بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلا من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، فأغضبوه إلى شيء ، فقال : اجمعوا لى حطباً فجمعوا له ثم قال : أوقدوا ناراً فأوقدوا ثم قال : ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لى وتطيعوا ؟ قالوا : بلى ، قال : فادخلوها ، فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار ، فكانوا كذلك . وسكن غضبه وطفئت النار فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال : لو دخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف ..

(٣) قال أبو تراب : عزاه الهيثمى بهذا اللفظ إلى معجم الطبرانى ورواه أحمد والحاكم والطيالسى عن عمران بن حصين والحكم الغفارى وعبد الله بن الصامت وله مخارج أخر (المجمع ج ٥ ص ٢٢٦) .

فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا بالكتاب والحكمة ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد . وقال الله تعالى : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ﴾ وقال لأزواج نبيه : ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ .

والذى كان يتلوه هو رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه : كتاب الله والحكمة . فكتاب الله هو القرآن والحكمة هى ما كان يذكره من كلامه ، وهى سنته . فعلى المسلمين أن يتعلموا هذا وهذا .

وفى الحديث المشهور الذى رواه الترمذى وغيره عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « ستكون فتنة . قلت : فما المخرج يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يَخْلَق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، من قال به صدق ،

ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » .

وقال الله تعالى في كتابه :﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا ﴾ وقال في كتابه : ﴿ إن الذين تفرقوا و كانوا شيعا لست منهم فى شىء ﴾ . فذم الذين تفرقوا فصاروا أحزابا وشيعا ، وحمد الذين اتفقوا وصاروا جميعاً معتصمين بحبل الله الذى هو كتابه شيعة واحدة للأنبياء كما قال تعالى : ﴿ وإن من شيعته لإبراهيم ﴾ وإبراهيم أبو الأنبياء ، كما قال : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين ﴾ : وقال تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ﴾ إلى أن قال : ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ .

وكان النبى ﷺ يعلم أمته أن يقولوا إذا أصبحوا : « أصبحنا على فطرة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين »[1] . وقال النبى ﷺ : « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ، فلا ألفين رجلا شبعان

(١) قال أبو تراب : أخرجه أحمد والطبرانى والنسائى عن عبد الرحمٰن بن ابزى .

على أريكته يقول : بيننا وبينكم هذا القرآن ، فما وجدنا فيه من حلال حللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه »[1] .

فهذا الحديث موافق لكتاب الله ، فإن الله ذكر في كتابه أنه [ﷺ] يتلو الكتاب والحكمة ، وهى التى أوتيها مع الكتاب ، وقد أمر في كتابه بالاعتصام بحبله جميعا ، ونهى عن التفرق والاختلاف ، و [أمر] أن نكون شيعة واحدة ، لا شيعا متفرقين ، وقال الله تعالى فى كتابه : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ فجعل المؤمنين إخوة ، وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل مع وجود الاقتتال والبغى .

وقال النبى ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد

(١) قال أبو تراب : رواه الإمام أحمد وأبو داوود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أبى رافع ، وأخرجه أحمد وأبو داوود عن المقدام بن معد يكرب أيضاً .

بالحمى والسهر » (١) وقال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (٢) » وشبك بين أصابعه .

فهذه أصول الإسلام التى هى الكتاب والحكمة ، والاعتصام بحبل الله جميعاً [واجب] على أهل الإيمان للاستمساك بها.

ولا ريب أن الله قد أوجب فيها من حرمة خلفائه وأهل بيته والسابقين الأولين ، والتابعين لهم بإحسان ما أوجب . قال الله تعالى : ﴿ يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ﴾ .

وقد روى الإمام أحمد والترمذى وغيرهما عن أم سلمة : أن هذه الآية لما نزلت أدار النبى ﷺ كساءه على علّي وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » . وسنته تفسر كتاب الله وتبينه ، وتدل عليه ، وتعبر عنه . فلما قال : « هؤلاء أهل بيتى » مع أن سياق القرآن يدل على أن الخطاب مع أزواجه ، علمنا أن

(١) قال أبو تراب : رواه الإمام أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير .

(٣) قال أبو تراب : أخرجه البخارى ومسلم ، عن أبى موسى .

أزواجه وإن كن من أهل بيته كما دل عليه القرآن ، فهؤلاء أحق بأن يكونوا أهل بيته ، لأن صلة النسب أقوى من صلة الصهر ، والعرب تطلق هذا البيان للاختصاص بالكمال لا للاختصاص بأصل الحكم ، كقول النبى ﷺ :ليس المسكين بالطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، وإنما المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ، ولا يتفطن له فيتصدق عليه ، ولا يسأل الناس إلحافا » .

بين بذلك : أن هذا مختص بكمال المسكنة ، بخلاف الطواف فإنه لا تكمل فيه المسكنة ، لوجود من يعطيه أحيانا ، مع أنه مسكين أيضا . ويقال : هذا هو العالم ، وهذا هو العدو ، وهذا هو المسلم ، لمن كمل فيه ذلك وإن شاركه غيره في ذلك وكان دونه .

ونظير هذا [في] الحديث ما رواه مسلم في صحيحه عن النبى ﷺ أنه سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال : « مسجدى هذا » يعنى مسجد المدينة . مع أن سياق القرآن في قوله عن مسجد الضرار : ﴿ لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين ﴾ يقتضى أنه مسجد قباء . فإنه قد تواتر أنه قال لأهل قباء : « ما هذا الطهور الذى أثنى الله عليكم به » ؟؟ فقالوا . لأننا نستنجي بالماء لكن مسجده أحق بأن يكون مؤسسا

على التقوى من مسجد قباء ، وإن كان كل منهما مؤسسا على التقوى ، وهو أحق أن يقوم فيه من مسجد الضرار ، فقد ثبت عنه ﷺ : أنه كان يأتي قباء كل سبت راكبا وماشيا ، فكان يقوم في مسجده القيام الجامع يوم الجمعة ، ثم يقوم بقباء يوم السبت ، وفي كل منهما قد قام في المسجد المؤسس على التقوى .

ولما بين سبحانه أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيته ويطهرهم تطهيرا ، دعا النبي ﷺ لأقرب أهل بيته وأعظمهم اختصاصا به ، وهم : علي ، وفاطمة ، رضى الله عنهما ، وسيدا شباب أهل الجنة ، جمع الله لهم بين أن قضى لهم بالتطهير ، وبين أن قضى لهم بكمال دعاء النبي ﷺ ، فكان في ذلك مادلنا على أن إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم نعمة من الله ليسبغها عليهم ، ورحمة من الله وفضل لم يبلغوهما بمجرد حولهم وقوتهم ، إذ لو كان كذلك لاستغنوا بهما عن دعاء النبي ﷺ ، كما يظن من يظن أنه قد استغنى في هدايته وطاعته عن إعانة الله تعالى له ، وهدايته إياه .

وقد ثبت أيضا بالنقل الصحيح : أن هذه الآيات لما نزلت قرأها النبي ﷺ على أزواجه ، وخيرهن كما أمره الله ، فآخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، ولذلك أقرهن ، ولم يطلقهن ، حتى مات عنهن . ولو أردن الحياة الدنيا وزينتها لكان يمتعهن

ويسرحهن كما أمره الله سبحانه وتعالى ، فإنه ﷺ أخشى الأمة لربه وأعلمهم بحدوده .

ولأجل مادلت عليه هذه الآيات من مضاعفة للأجور والوزر بلغنا عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين وقرة عين الإسلام أنه قال : « إني لأرجو أن يعطى الله للمحسن منا أجرين ، وأخاف أن يجعل على المسيء منا وزرين » .

وثبت في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ بغدير يدعى « خم » بين مكة والمدينة فقال : « وأهل بيتى ، أذكركم الله في أهل بيتى ، أذكركم الله في أهل بيتى » . قيل لزيد بن أرقم : ومن أهل بيته ؟ قال : الذين حرموا الصدقة : آل علي ، وآل جعفر ، وآل عقيل ، وآل عباس . قيل لزيد : أكل هؤلاء أهل بيته ؟ قال : نعم[1] .

وقد ثبت عن النبي ﷺ من وجوه صحاح أن الله لما أنزل عليه : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ . سأل الصحابة : كيف يصلون عليه ، فقال : « قولوا : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ،

---

(١) قال أبو تراب : ورواه الإمام أحمد أيضاً والنسائي والترمذي .

وبارك على محمد ، كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » . وفي حديث صحيح : « اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته » .

وثبت عنه أن ابنه الحسن لما تناول تمرة من تمر الصدقة قال : [له] : كخ ، كخ ، أما علمت أنا آل بيت لا تحل لنا الصدقة »[1] وقال : إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد »[2] .

وهذا والله أعلم من التطهير الذى شرعه الله لهم ، فإن الصدقة أوساخ الناس ، فطهرهم الله من الأوساخ ، وعوضهم بما يقيتهم من خمس الغنائم ، ومن الفيء الذى جعل منه رزق محمد حيث قال ﷺ فيما رواه أحمد وغيره : « بعثت بالسيف بين يدى الساعة ، حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم » .

ولهذا ينبغى أن يكون اهتمامهم بكفاية أهل البيت الذين حرمت عليهم الصدقة أكثر من اهتمامهم بكفاية الآخرين من الصدقة ، لاسيما إذا تعذر أخذهم من الخمس والفيء ، إما لقلة

(١) قال أبو تراب : رواه الشيخان عن أبى هريرة

(٢) قال أبو تراب : رواه الإمام أحمد ومسلم عن عبد المطلب بن ربيعة

ذلك ، وإما لظلم من يستولى على حقوقهم ، فيمنعهم إياها من ولاة الظلم ، فيعطون من الصدقة المفروضة ما يكفيهم إذا لم تحصل كفايتهم من الخمس والفيء[1] .

وعلى الآخذين من الفيء من ذوى القربى وغيرهم أن يتصفوا بما وصف الله به أهل الفيء في كتابه حيث قال : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ الآيات .

فجعل أهل الفيء ثلاثة أصناف : المهاجرين ، والأنصار ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم .

وذلك أن الفيء إنما حصل بجهاد المهاجرين والأنصار وإيمانهم وهجرتهم ونصرتهم ، فالمتأخرون إنما يتناولونه مخلفا عن أولئك ، مشبها بتناول الوارث ميراث أبيه ، فإن لم يكن مواليا له لم يستحق الميراث ، فلا يرث المسلم الكافر ، فمن لم يستغفر لأولئك بل كان مبغضا لهم خرج عن الوصف الذى وصف الله به أهل

(١) قال أبو تراب : وقال بذلك أبو سعيد الأصطخرى قال الرافعى : وكان محمد بن يحيى صاحب الغزالى يفتى بهذا . انظر شرح المهذب للنووى جـ ٦ ص ٢٢٧ .

الفيء ، حتى يكون قلبه مسلما لهم ، ولسانه داعيا لهم ، ولو فرض أنه صدر من واحد منهم ذنب محقق فإن الله يغفره له بحسناته العظيمة ، أو بتوبة تصدر منه ، أو يبتليه ببلاء يكفر به سيئاته ، أو يقبل فيه شفاعة نبيه وإخوانه المؤمنين ، أو يدعو الله بدعاء يستجيبه له .

وقد ثبت عن النبي ﷺ في الصحاح من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه أن حاطب بن أبي بلتعة كاتب كفار مكة لما أراد النبي ﷺ أن يغزوهم غزوة الفتح ، فبعث إليهم آمرأة معها كتاب يخبرهم فيه بذلك ، فجاء الوحى إلى النبي ﷺ بذلك ، فبعث عليا والزبير فأحضرا الكتاب ، فقال : « ما هذا ياحاطب » ؟ فقال : واللهِ يارسول الله ما فعلت ذلك أذى ولا كفرا ، ولكن كنت آمرأ ملصقا من قريش ، ولم أكن من أنفسهم ، وكان من معك من أصحابك لهم قرابات يحمون بها أهليهم ، فأردت أن أتخذ عندهم يدا أحمى بها قرابتى ، فقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق . فقال : « إنه شهد بدرا ، وما يدريك لعل الله قد آطلع على أهل بدر فقال : آعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . وأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ﴾ الآيات .

وثبت في صحيح مسلم أن غلام حاطب هذا جاء إلى النبي

ﷺ فقال : يا رسول الله والله ليدخلن حاطب النار ، وكان حاطب يسيء إلى مماليكه . فقال النبي ﷺ : « كذبت ، إنه قد شهد بدرا والحديبية » . وقال ﷺ : « لا يدخل النار واحد بايع تحت الشجرة »[1] .

فهذا حاطب قد تجسس على رسول الله ﷺ في غزوة فتح مكة التى كان ﷺ يكتمها عن عدوه ، وكتمها عن أصحابه ، وهذا من الذنوب الشديدة جداً ، وكان يسيء إلى مماليكه ، وفى الحديث المرفوع ، « لن يدخل الجنة سيىء الملكة[2] » . ثم مع هذا لما شهد بدرا والحديبية غفر الله له ورضى عنه ، فإن الحسنات يذهبن السيئات . فكيف بالذين هم أفضل من حاطب وأعظم إيمانا وعلما وهجرة وجهادا ، فلم يذنب أحد قريبا من ذنوبه ؟!

ثم إن أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه روى هذا الحديث فى خلافته ، ورواه عنه كاتبه عبيد الله بن أبي رافع ، وأخبر فيه أنه هو والزبير ذهبا لطلب الكتاب من المرأة الظعينة ، وأن النبي ﷺ شهد لأهل بدر بما شهد ، مع علم أمير المؤمنين بما جرى ، ليكف

(١) قال أبو تراب : رواه أحمد وأبو داوود والترمذى عن جابر ومسلم عن أم بشر
(٢) قال أبو تراب : أخرجه الترمذى وابن ماجه عن أبى بكر

القلوب والألسنة عن أن تتكلم فيهم إلا بالحسنى ، فلم يأت أحد منهم بأشد مما جاء به حاطب ، بل كانوا فى غالب ما يأتون به مجتهدين ، وقد قال النبى ﷺ : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » وهذا حديث صحيح مشهور .

وثبت عنه أيضاً أنه لما كان فى غزوة الأحزاب فرد الله الأحزاب بغيظهم لم ينالـوا خيرا ، وأمر نبيه بقصد بنى قريظة قال لأصحابه : « لا يصلين أحد منكم العصر إلا فى بنى قريظة » فأدركتهم الصلاة في الطريق ، فمنهم قوم قالوا : لا نصليها إلا في بنى قريظة ، ومنهم قوم قالوا : لم يرد منا تفويت الصلاة ، إنما أراد المسارعة ، فصلوا فى الطريق . فلم يعنف النبى ﷺ واحدة من الطائفتين .

وكانت سنة رسول الله ﷺ هذه موافقة لما ذكره الله سبحانه وتعالى فى كتابه حيث قال : ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ﴾ فأخبر سبحانه وتعالى أنه خص أحد النبيين بفهم الحكم في تلك القضية ، وأثنى على كل منهما بما آتاه من العلم والحكم .

فهكذا السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه [كانوا] فيما تنازعوا فيه مجتهدين طالبين للحق .

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : « من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » . وروى عنه مولاه سفينة أنه قال : « الخلافة ثلاثون سنة ، ثم تصير ملكا »[1] ، فكان آخر الثلاثين حين سلم سبط رسول الله ﷺ : الحسن بن علي رضى الله عنهما الأمر إلى معاوية . وكان معاوية أول الملوك ، وفيه ملك ورحمة ، كما روى في الحديث : « ستكون خلافة نبوة ، ثم يكون ملك ورحمة ، ثم يكون ملك وجبرية ، ثم يكون ملك عضوض » .

وقد ثبت عن أمير المؤمنين علي رضى الله عنه من وجوه أنه لما قاتل أهل الجمل لم يسب لهم ذرية ، ولم يغنم لهم مالا ، ولا أجهز على جريح ، ولا اتبع مدبرا ، ولا قتل أسيرا ، وأنه صلى على قتلى الطائفتين بالجمل وصفين ، وقال : « اخواننا بغوا علينا » . وأخبر أنهم ليسوا بكفار ولا منافقين ، واتبع فيما قاله

(١) قال أبو تراب : رواه أحمد والترمذى ، وأبو يعلي وابن حبان

كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، فإن الله سماهم إخوة ، وجعلهم مؤمنين في الاقتتال والبغى كما ذكر في قوله : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ .

وثبت عن النبى ﷺ في الصحاح أنه قال : « تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين ، تقتلهم أولى الطائفين بالحق[1] » . وهذه المارقة هم أهل حروراء ، الذين قتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه وأصحابه لما مرقوا من الإسلام ، وخرجوا عليه ، فكفروه ، وكفروا سائر المسلمين ، واستحلوا دماءهم وأموالهم .

وقد ثبت عن النبى ﷺ من طرق متواترة أنه وصفهم وأمر بقتالهم ، فقال : « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقرآنه مع قرآنهم ، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لو يعلم الذين يقتلونهم مالهم على لسان محمد ﷺ لنكلوا عن العمل » . فقتلهم علي رضى الله عنه وأصحابه ، وسر أمير المؤمنين بقتلهم سرورا شديداً وسجد لله شكراً ، لما ظهر فيهم علامتهم وهو المخدج اليد ، الذى على يده مثل البضعة من اللحم ، عليها شعرات

(١) قال أبو تراب : أخرجه مسلم وأبو داوود عن أبي سعيد .

فاتفق جميع الصحابة على استحلال قتالهم ، وندم كثير منهم كابن عمر وغيره على ألا يكونوا شهدوا قتالهم مع أمير المؤمنين ، بخلاف ما جرى في وقعة الجمل وصفين ، فإن أمير المؤمنين كان متوجعا لذلك القتال ، متشكيا مما جرى ، يتراجع هو وابنه الحسن القول فيه ، ويذكر له الحسن أن رأيه ألا يفعله .

فلا يستوى ما سر قلب أمير المؤمنين وأصحابه وغبطه به من لم يشهده ، مع ما تواتر عن النبى ﷺ فيه وساءه وساء قلب أفضل أهل بيته ، حِبّ النبى ﷺ ، الذى قال فيه : « اللهم إنى أحبه فأحبه ، وأحب من يحبه » . وإن كان أمير المؤمنين هو أولى بالحق ممن قاتله في جميع حروبه .

ولا يستوى القتلى الذين صلى عليهم وسماهم إخواننا ، والقتلى الذين لم يصل عليهم ، بل قيل له : من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟ فقال : هم أهل حروراء .

فهذا الفرق بين أهل حروراء وبين غيرهم الذي سماه أمير المؤمنين في خلافته بقوله وفعله موافقا فيه لكتاب الله وسنة نبيه هو الصواب الذى لا معدل عنه لمن هدى رشده ، وإن كان كثير من علماء السلف والخلف لا يهتدون لهذا الفرقان ، بل يجعلون السيرة في الجميع واحدة . فإما أن يقصروا بالخوارج عما

يستحقونه من البغض واللعنة والعقوبة والقتل ، وإما أن يزيدوا على غيرهم ما يستحقونه من ذلك .

وسبب ذلك قلة العلم والفهم لكتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه ، وسيرة خلفائه الراشدين المهديين ، وإلا فمن استهدى الله واستعانه ، وبحث عن ذلك ، وطلب الصحيح من المنقول ، وتدبر كتاب الله ، وسنة نبيه ، وسنة خلفائه ، لا سيما سيرة أمير المؤمنين الهادى المهدى التى جرى فيها ما اشتبه على خلق كثير فضلوا بسبب ذلك ، إما غلوا فيه ، وإما جفاء عنه ، كما روى عنه قال : « يهلك في رجلان : محب غال يقرظنى بما ليس في ، ومبغض قال يرمينى بما نزهنى الله منه » .

وحد ذلك وملاك ذلك شيئان : طلب الهدى ، ومجانبة الهوى ، حتى لا يكون الإنسان ضالا وغاوياً ، بل مهتدياً راشداً . قال الله تعالى في حق نبيه ﷺ : ﴿ والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى ﴾ . فوصفه بأنه ليس بضال « أى ليس بجاهل » ولا غاو « أى ولا ظالم » فإن صلاح العبد في أن يعلم الحق ويعمل به ، فمن لم يعلم الحق فهو ضال عنه . ومن علمه فخالفه واتبع هواه فهو غاو ، ومن علمه وعمل به كان من أولى الأيدى عملا ، ومن أولى الأبصار علما ، وهو الصراط المستقيم الذى أمرنا الله

سبحانه في كل صلاة أن نقول : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ .

فالمغضوب عليهم : الذين يعرفون الحق ولا يتبعونه كاليهود ، والضالون : الذين يعملون أعمال القلوب والجوارح بلا علم كالنصارى . ولهذا وصف الله اليهود بالغواية في قوله تعالى : ﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ﴾ .

ووصف العالم الذى لم يعلم بعلمه بذلك في قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ﴾ . ووصف النصارى بالضلال في قوله تعالى : ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا من سواء السبيل ﴾ .

ووصف بذلك من يتبع هواه بغير علم حيث قال : ﴿ وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ . وقال : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ .

وأخبر من اتبع هداه المنزل فإنه لا يضل كما ضل الضالون ،

ولا يشقى كما شقى المغضوب عليهم فقال : ﴿ فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ﴾ . قال ابن عباس : تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل فى الدنيا ، ولا يشقى فى الآخرة .

ومن تمام الهداية : أن ينظر المستهدى فى كتاب الله ، وفيما تواتر من سنة نبيه ، وسنة الخلفاء ، وما نقله الثقات الأثبات ، ويميز بين ذلك وبين ما نقله من لا يحفظ الحديث ، أو يتهم فيه بكذب لغرض من الأغراض ، فإن المحدث بالباطل إما أن يتعمد الكذب ، أو يكذب خطأ لسوء حفظه أو نسيانه ، أو لقلة فهمه وضبطه .

ثم إذا حصلت [للمستهدى] المعرفة بذلك تدبر ذلك ، وجمع بين المتفق منه ، وتدبر المختلف منه ، حتى يتبين له أنه متفق فى الحقيقة وإن كان الظاهر مختلفا ، أو أن بعضه راجح يجب اتباعه ، والآخر مرجوح ليس بدليل فى الحقيقة ، وإن كان فى الظاهر دليلا .

أما غلط الناس فلعدم التمييز بين ما يعقل من النصوص والآثار ، أو يعقل بمجرد القياس والاعتبار ، ثم إذا خالط الظن والغلط فى العلم هوى النفوس ومناها فى العمل صار لصاحبها نصيب من قوله تعالى . ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ .

وهذا سبب ما خلق الإنسان عليه من الجهل فى نوع العلم ،

والظلم فى نوع العمل ، فبجهله يتبع الظن ، وبظلمه يتبع ما تهوى الأنفس . ولما بعث الله رسله وأنزل كتبه ، لهدى الناس وإرشادهم ، صار أشدهم اتباعا للرسل أبعدهم عن ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ .

ولهذا صار ما وصف الله به الإنسان لا يخص غير المسلمين دونهم ، ولا يخص طائفة من الأمة ، لكن غير المسلمين أصابهم ذلك فى أصول الإيمان التى صار جهلهم وظلمهم فيها كفرانا وخسرانا مبينا ، ولذلك من ابتدع فى أصول الدين بدعة جليلة أصابه من ذلك أشد مما يصيب من أخطأ فى أمر دقيق أو أذنب فيه ، والنفوس لهجة بمعرفة محاسنها ، ومساوىء غيرها .

وأما العالم العادل فلا يقول إلا الحق ، ولا يتبع إلا إياه ، ولهذا من يتبع المنقول الثابت عن النبى ﷺ ، وخلفائه ، وأصحابه ، وأئمة أهل بيته ، مثل الإمام علي بن الحسين زين العابدين ، وابنه الإمام أبى جعفر محمد بن علي الباقر ، وابنه الإمام أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق شيخ علماء الأمة ، ومثل أنس

ابن مالك ، والثورى وطبقتهما ، وجد ذلك جميعه متفقا مجتمعا في أصول دينهم ، وجماع شرائعهم ، ووجد في ذلك ما يشغله وما يغنيه عما أحدثه كثير من المتأخرين من أنواع المقالات التي تخالف ما كان عليه أولئك السلف [وهؤلاء المتأخرون] ممن ينتصب لعداوة آل بيت رسول الله ﷺ ، ويبخسهم حقوقهم ، ويؤذيهم ، أو ممن يغلو فيهم غير الحق ، ويفترى عليهم الكذب ، ويبخس السابقين والطائعين حقوقهم ، ورأى أن في المأثور عن أولئك السلف في باب التوحيد والصفات ، وباب العدل والقدر ، وباب الإيمان والأسماء والأحكام ، وباب الوعيد والثواب ، والعذاب ، وباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وما يتصل به من حكم الأمراء أبرارهم وفجارهم ، وحكم الرعية معهم ، والكلام في الصحابة والقرابة ما يبين لكل عاقل عادل أن السلف المذكورين لم يكن بينهم من النزاع في هذه الأبواب إلا من جنس النزاع الذى أقرهم عليه الكتاب والسنة كما تقدم ذكره ، وإن البدع الغليظة المخالفة للكتاب والسنة ، واتفاق أولى الأمر الهداة المهتدين إنما حدثت من الأخلاف ، وقد يعزون بعض ذلك إلى بعض الأسلاف ، تارة بنقل غير ثابت ، وتارة بتأويل لِشيءٍ من كلامهم متشابه .

ثم إن من رحمة الله انه قل أن ينقل عنهم شيء من ذلك إلا وفي النقول الصحيحة الثابتة عنهم للقول المحكم الصريح ما يبين غلط

الغالطين عليهم في النقل أو التأويل ، وهذا لأن الصراط المستقيم في كل الأمة بمنزلة الصراط في الملك ، فكمال الإسلام هو الوسط في الأديان والملك ، كما قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ لم ينحرفوا انحراف اليهود والنصارى والصابئين .

فكذلك أهل الاستقامة ، ولزوم سنة رسول الله ﷺ ، وما عليه السلف ، تمسكوا بالوسط ، ولم ينحرفوا إلى الأطراف ، فاليهود مثلا جفوا في الأنبياء والصديقين حتى قتلوهم وكذبوهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ فريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴾ والنصارى غلوا فيهم حتى عبدوهم كما قال تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ﴾ الآية ..

واليهود انحرفوا في النسخ حتى زعموا أنه لا يقع من الله ولا يجوز عليه ، كما ذكر الله عنهم انكاره في القرآن حيث قال : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ﴾ والنصارى قابلوهم ، فجوزوا للقسيسين والرهبان أن يوجبوا ما شاءوا ، ويحرموا ما شاءوا ، وكذلك تقابلهم في سائر الأمور .

فهدى الله المؤمنين إلى الوسط ، فآعتقدوا في الأنبياء ما يستحقونه ، ووقروهم ، وعزروهم ، وأحبوهم ، وأطاعوهم ، واتبعوهم ، ولم يردوهم كما فعلت اليهود ، ولا أطروهم ولا غلوا

فيهم فتنزلوهم منزلة الربوبية كما فعلت النصارى . وكذلك في النسخ ، جوزوا أن ينسخ الله ، ولم يجوزوا لغيره أن ينسخ ، فإن الله له الخلق والأمر ، فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره .

وهكذا أهل الاستقامة في الإسلام المعتصمون بالحكمة النبوية ، والعصبة الجماعية ، متوسطون في باب التوحيد والصفات بين النفاة المعطلة وبين المشبهة الممثلة ، وفي باب القدر والعدل والأفعال بين القدرية والجبرية والقدرية والمجوسية ، وفي باب الأسماء والأحكام بين من أخرج أهل المعاصي من الإيمان بالكلية كالخوارج وأهل المنزلة ، وبين من جعل إيمان الفساق كإيمان الأنبياء والصديقين كالمرجئة والجهمية ، وفي باب الوعيد والثواب والعقاب بين الوعيديين الذين لا يقولون بشفاعة نبينا لأهل الكبائر ، وبين المرجئة الذين لا يقولون بنفوذ الوعيد . وفي باب الإمامة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بين الذين يوافقون الولاة على الإثم والعدوان ، ويركنون إلى الذين ظلموا ، وبين الذين لا يرون أن يعاونوا أحدا على البر والتقوى ، لا على جهاد ولا جمعة ولا أعياد إلا أن يكون معصوماً ، ولا يدخلوا فيما أمر الله به ورسوله إلا في طاعة من لا وجود له .

فالأولون يدخلون في المحرمات ، وهؤلاء يتركون واجبات الدين ، وشرائع الإسلام ، وغلاتهم يتركونها لأجل موافقة من يظنونه ظالما ، وقد يكون كاملا في علمه وعدله .

وأهل الاستقامة والاعتدال يطيعون الله ورسوله بحسب الإمكان ، فيتقون الله ما استطاعوا ، وإذا أمرهم الرسول بأمر أتوا منه ما استطاعوا ، ولا يتركون ما أمروا به لفعل غيرهم ما نهى عنه ، بل كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ . ولا يعاونون احدا على معصية ، ولا يزيلون المنكر بما هو انكر منه ، ولا يأمرون بالمعروف إلا بالمعروف ، فهم وسط في عامة الأمور ، ولهذا وصفهم النبى ﷺ بأنهم الطائفة الناجية لما ذكر اختلاف أمته وافتراقهم .

ومن ذلك أن اليوم الذى هو يوم عاشوراء الذى أكرم الله فيه سبط نبيه ، وأحد سيدى شباب أهل الجنة بالشهادة على أيدى من قتله من الفجرة الأشقياء ، وكان ذلك مصيبة عظيمة من أعظم المصائب الواقعة في الإسلام . وقد روى الإمام أحمد وغيره عن فاطمة بنت الحسين وقد كانت قد شهدت مصرع أبيها ، عن أبيها الحسين بن علي رضى الله عنهم ، عن جده رسول الله ﷺ أنه قال : « ما من رجل يصاب بمصيبة فيذكر مصيبته وإن قدمت ، فيحدث لها استرجاعاً إلا اعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها » .

فقد علم الله أن مثل هذه المصيبة العظيمة ستجدد ذكرها مع تقادم العهد ، فكان من محاسن الإسلام أن روى هذا الحديث

صاحب المصيبة والمصاب به أولا ولا ريب أن ذلك إنما فعله الله كرامة للحسين رضى الله عنه ، ورفعاً لدرجته ومنزلته عند الله ، وتبليغا له منازل الشهداء ، وإلحاقا له بأهل بيته الذين ابتلوا بأصناف البلاء ، ولم يكن الحسن والحسين حصل لهما من الابتلاء ما حصل لجدهما ولأمهما وعمهما ، لأنهما ولدا في عز الإسلام ، وتربيا في حجور المؤمنين ، فأتم الله نعمته عليهما بالشهادة ، أحدهما مسموما ، والآخر مقتولا ، لأن الله عنده من المنازل العالية في دار كرامته مالا ينالها إلا أهل البلاء كما قال النبى ﷺ وقد سئل : أى الناس أشد بلاء ؟ فقال : « الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه ، وإن كان في دينه رقة خفف عنه ، وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشى على الأرض وليس عليه خطيئة »[1] .

وشقى بقتله من أعان عليه ، أو رضى به ، فالذي شرعه الله للمؤمنين عند الإصابة بالمصائب وإن عظمت أن يقولوا : إنا لله وإنا إليه راجعون . وقد روى الشافعى في مسنده أن النبى ﷺ لما مات وأصاب أهل بيته من المصيبة ما أصابهم ، سمعوا قائلا يقول : يا آل بيت رسول الله ، إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ، ودركا من كل فائت ، فبالله فثقوا ، وإياه

(١) قال أبو تراب : أخرجه الإمام أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه عن سعد وله مخارج أخر عند الطبرانى والحاكم وعبد الرزاق .

فارجوا ، فإن المصاب من حرم الثواب .. فكانوا يرونه الخضر جاء يعزيهم بالنبى ﷺ .

فأما اتخاذ المآتم في المصائب ، واتخاذ أوقاتها مآتم ، فليس من دين الإسلام ، وهو أمر لم يفعله رسول الله ﷺ ، ولا أحد من السابقين الأولين ، ولا من التابعين لهم بإحسان ، ولا من عادة أهل البيت ، ولا غيرهم ، وقد شهد مقتل على أهل بيته ، وشهد مقتل الحسين من شهده من أهل بيته ، وقد مرت على ذلك سنون كثيرة ، وهم متمسكون بسنة رسول الله ﷺ ، لا يحدثون مأتما ولا نياحة . بل يصبرون ويسترجعون كما أمر الله ورسوله ، أو يفعلون مالا بأس به من الحزن والبكاء عند قرب المصيبة ، قال النبى ﷺ : « ما كان من العين والقلب فمن الله ، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان » . وقال : « ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية »[1] . يعنى مثل قول المصاب : يا سنداه يا ناصراه ، يا عضداه . وقال : « إن النائحة إذا لم تتب قبل موتها فإنها تلبس يوم القيامة درعا من جرب ، وسربالا من قطران » . وقال : « لعن الله النائحة والمستمعة إليها » .

وقد قال في تنزيله : ﴿ يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات

(١) قال أبو تراب : أخرجه الإمام أحمد والشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه عن ابن مسعود .

يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴾ . وقد فسر النبى ﷺ قوله : ﴿ ولا يعصينك في معروف ﴾ بأنها النياحة . وتبرأ النبى ﷺ من الحالقة والصالقة . [والحالقة] : التى تحلق شعرها عند المصيبة ، والصالقة : التى ترفع صوتها عند المصيبة . وقال جرير بن عبد الله : كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميّت وصنعتهم الطعام للناس من النياحة ، وإنما السنة : أن يصنع لأهل الميت طعام ، لأن مصيبتهم تشغلهم ، كما قال النبى ﷺ لما نعى جعفر بن أبى طالب لما استشهد بمؤتة فقال : « اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد جاءهم ما يشغلهم »[1] .

وهكذا ما يفعل قوم آخرون يوم عاشوراء من الاكتحال والاختضاب أو المصافحة والاغتسال ، فهو بدعة أيضاً لا أصل لها ، ولم يذكرها أحد من الأئمة المشهورين ، وإنما روى فيها حديث : « من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض تلك السنة ، ومن اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد[2] ذلك العام » . ونحو ذلك ، ولكن الذى ثبت عن النبى ﷺ : أنه صام يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه

(١) قال أبو تراب : رواه أحمد وأبو داوود والترمذى وابن ماجه والحاكم عن عبد الله ابن جعفر .

(٢) قال أبو تراب : أخرجه البيهقى في شعب الإيمان عن ابن عباس وليس بثابت .

وقال : « صومه يكفر سنة »[1] وقرر النبى ﷺ أن الله أنجى فيه موسى وقومه ، وأغرق فرعون وقومه ، وروى أنه كان فيه حوادث الأمم .. فمن كرامة الحسين أن الله جعل استشهاده فيه .

وقد يجمع الله في الوقت شخصاً أو نوعا من النعمة التى توجب شكراً ، أو المحنة التى توجب صبراً ، كما أن سابع عشر شهر رمضان فيه كانت وقعة بدر ، وفيه كان مقتل علي .. وأبلغ من ذلك : أن يوم الاثنين في ربيع الأول مولد النبى ﷺ ، وفيه هجرته ، وفيه وفاته .

والعبد المؤمن يبتلى بالحسنات التى تسره ، والسيئات التى تسوءه في الوقت الواحد ، ليكون صباراً ، شكوراً ، فكيف إذا وقع مثل ذلك في وقتين متعددين من نوع واحد .

ويستحب صوم التاسع والعاشر ، ولا يستحب الكحل ، والذين يصنعونه من الكحل من أهل الدين لا يقصدون به مناصبة أهل البيت ، وإن كانوا مخطئين في فعلهم ، ومن قصد منهم أهل البيت بذلك أو غيره ، أو فرح ، أو استشفى بمصائبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فقد قال النبى ﷺ : « والذى نفسى بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلى »[2] . لما شكا

(١) قال أبو تراب : أخرجه أحمد ومسلم والترمذى عن أبى قتادة .

(٢) قال أبو تراب: وفي المعنى عن عبد الله بن جعفر عند الحاكم وعن العباس عند أحمد وابن ماجه والطبرانى والرويانى وابن عساكر .

إليه العباس أن بعض قريش يجفون بنى هاشم وقال : « إن الله اصطفى قريشا من بنى كنانة ، واصطفى بنى هاشم من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم »[1] . وروى عنه انه قال : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبونى لحب الله ، وأحبوا أهل بيتى لحبى »[2] .

وهذا باب واسع يطول القول فيه .

وكان سبب هذه المواصلة أن بعض الإخوان قدم بورقة فيها ذكر النبى ﷺ ، وذكر سادة أهل البيت ، وقد أجرى فيها ذكر النذور لمشهد المنتظر ، فخوطب من فضائل أهل البيت وحقوقهم ، بما سر قلبه ، وشرح صدره ، وكان ما ذكر بعض الواجب ، فإن الكلام في هذا طويل ، ولم يحتمل هذا الحامل أكثر من ذلك . وخوطب فيما يتعلق بالأنساب والنذور بما يجب في دين الله ، فسأل المكاتبة بذلك الى من يذهب إليه من الإخوان ، فإن النبى ﷺ قال : « الدين النصيحة » * قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

---

(١) قال أبو تراب : أخرجه مسلم والترمذى عن واثلة .

(٢) قال أبو تراب : أخرجه الترمذى والحاكم عن ابن عباس .

(*) قال أبو تراب : روى هذا اللفظ ثوبان وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وأخرجه أحمد ، والبخارى في التاريخ ومسلم والدارمى وأبو عوانة وأبو داوود والبزار والنسائى والترمذى وأبو نعيم والضياء .

أما ورقة الأنساب والتواريخ ففيها غلط في مواضع متعددة ، مثل ذكره أن النبى ﷺ توفى في صفر ، وأنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عمرو بن العلاء بن هاشم ، وأن جعفر الصادق توفى في خلافة الرشيد ، وغير ذلك .

فإنه لا خلاف بين أهل العلم أن النبى ﷺ توفى في شهر ربيع الأول ، شهر مولده وشهر هجرته ، وأنه توفى يوم الاثنين وفيه ولد ، وفيه أنزل عليه . وجده هاشم بن عبد مناف ، وإنما كان هاشم يسمى عمرا ، ويقال له : عمرو العلا ، كما قال الشاعر :

عمر العلا هشم الثريد لقومه   ورجال مكة مسنتون عجاف

وأن جعفرا أبا عبد الله توفى في سنة ثمان وأربعين في إمارة أبي جعفر المنصور ، وأما المنتظر فقد ذكر طائفة من أهل العلم بأنساب أهل البيت : أن الحسن بن علي العسكرى لما توفى بعسكر سامراء لم يعقب ولم ينسل ، وقال من أثبته : إن أباه لما توفى سنة ستين ومائتين كان عمره سنتين أو أكثر من ذلك بقليل ، وأنه غاب من ذلك الوقت وأنه من ذلك الوقت حجة الله على أهل الأرض ، لايتم الإيمان إلا به ، وأنه هو المهدى الذى أخبر به النبى ﷺ ، وأنه يعلم كل ما يفتقر إليه الدين .

وهذا موضع ينبغى للمسلم أن يتثبت فيه ، ويستهدى الله

ويستعينه ، لأن الله قد حرم القول بغير علم ، وذكر أن ذلك من خطوات الشيطان وحرم القول المخالف للحق ، ونصوص التنزيل شاهدة بذلك ، ونهى عن اتباع الهوى .

فأما المهدى الذى بشر به النبى ﷺ فقد رواه أهل العلم العالمون بأخبار النبى ﷺ ، الحافظون لها ، الباحثون عنها وعن رواتها ، مثل أبى داود ، والترمذى ، وغيرهما ، ورواه الإمام أحمد في مسنده .

فعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلا من أهل بيتى ، يوطىء اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى ، يملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا »[1] .

وروى هذا المعنى من حديث أم سلمة وغيرها .

وعن علي بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : « المهدى من ولد ابنى هذا » . وأشار إلى الحسن .

وقال ﷺ : « يكون في آخر الزمان خليفة يحثو المال حثوا »[2] . وهو حديث صحيح .

(١) قال أبو تراب : أخرجه أبو داوود ومثله عنده وعند أحمد عن عليّ وانظر في أحاديث هذا الباب ، تحفة الأحوذى وله شواهد كثيرة وأنه من ولد فاطمة .
(٢) قال أبو تراب : رواه أحمد ومسلم عن جابر وأبى سعيد .

فقد أخبر النبى ﷺ أن اسمه محمد بن عبد الله ، ليس محمد ابن الحسن . ومن قال : إن أبا جده الحسين ، وإن كنيته الحسين أبو عبد الله فقد جعل الكنية اسمه ، فما يخفى على من يخشى الله أن هذا تحريف الكلم عن مواضعه ، وأنه من جنس تأويلات القرامطة وقول أمير المؤمنين صريح في أنه حسنى لا حسينى ، لأن الحسن والحسين مشبهان من بعض الوجوه باسماعيل وإسحاق ، وإن لم يكونا نبيين ، ولهذا كان النبى ﷺ يقول لهما : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » . ويقول : « إن إبراهيم كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق » وكان إسماعيل هو الأكبر والأحلم ، ولهذا قال النبى ﷺ وهو يخطب على المنبر والحسن معه على المنبر : « ان ابنى هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »[1] .

فكما أن غالب الأنبياء كانوا من ذرية إسحاق ، فهكذا كان غالب السادة الأئمة من ذرية الحسين ، وكما أن خاتم الأنبياء الذى طبق أمره مشارق الأرض ومغاربها كان من ذرية إسماعيل ، فكذلك الخليفة الراشد المهدى الذى هو آخر الخلفاء يكون من ذرية الحسن .

(١) قال أبو تراب : أخرجه الإمام أحمد والبخارى عن أبى بكرة .

وأيضاً فإن من كان آبن سنتين كان في حكم الكتاب والسنة مستحقاً أن يحجر عليه في بدنه ، ويحجر عليه في ماله ، حتى يبلغ ويؤنس منه الرشد فإنه يتيم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ﴾ . فمن لم تفوض الشريعة إليه أمر نفسه كيف تفوض إليه أمر الأمة ؟ وكيف يجوز أن يكون إماما على الأمة من لا يرى ولا يسمع له خبر ؟ مع أن الله لا يكلف العباد بطاعة من لا يقدرون على الوصول إليه ، وله أربعمائة وأربعون سنة ينتظره من ينتظره وهو لم يخرج ، إذ لا وجود له .

وكيف لم يظهر لخواصه وأصحابه المأمونين عليه كما ظهر آباؤه ، وما الموجب لهذا الاختفاء الشديد دون غيره من الآباء ؟ وما زال العقلاء قديما وحديثا يضحكون بمن يثبت هذا ، ويعلق دينه به ، حتى جعل الزنادقة هذا وأمثاله طريقا إلى القدح في الملة ، وتسفيه عقول أهل الدين إذا كانوا يعتقدون مثل هذا .

لهذا قد اطلع أهل المعرفة على خلق كثير منافقين زنادقة يتسترون بإظهار هذا وأمثاله ، ليستميلوا قلوب وعقول الضعفاء وأهل الأهواء ، ودخل بسبب ذلك من الفساد ما الله به عليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، والله يصلح أمر هذه الأمة ويهديهم ويرشدهم .

وكذلك ما يتعلق بالنذور والمساجد والمشاهد ، فإن الله في كتابه وسنة نبيه التى نقلها السابقون من أهل بيته وغيرهم قد أمر بعمارة المساجد ، وإقامة الصلوات فيها بحسب الإمكان ، ونهى عن بناء المساجد على القبور ، ولعن من يفعل ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ .

وقال : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ .

وقال : ﴿ ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴾ .

وقال النبى ﷺ : « من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة »[1] .

---

(١) قال أبو تراب : أخرجه ابن ماجه عن عليّ وفي المغنى عن جابر وابن عباس وعمر وعثمان عند الإمام أحمد وغيره .

وقال : « بشر المشائين في ظلم الليل إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة »[1] .

وقال : « من غدا إلى المسجد أو راح ، أعد الله له نزلا كلما غدا أو راح »[2] .

وقال : « صلاة الرجل في المسجد تفضل على صلاته في بيته وسوقه بخمس وعشرين درجة » .

وقال : « من تطهر في بيته فأحسن الطهور ، وخرج إلى المسجد لاينهزه إلا الصلاة ، كانت خطوتاه إحداهما ترفع درجة ، والأخرى تضع خطيئة ».

وقال : « صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده ، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل ، وما كان أكثر كان أحب إلى الله »[3] .

وقال : « سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عند

(١) قال أبو تراب : أخرجه أبو داوود الترمذى عن بريدة وابن ماجه والحاكم عن أنس وسهل بن سعد .
(٢) قال أبو تراب : هذا حديث متفق عليه وأخرجه أيضا أحمد عن أبى هريره .
(٣) قال أبو تراب : أخرجه الطبرانى والبيهقى عن قباث بن أشيم ، وهو في تاريخ البخارى ، وإبن سعد والبزار والديلمى .

وقتها ، فصلوا الصلاة لوقتها ، ثم اجعلوا صلاتكم معهم نافلة »[1] .

وقال : « يصلون لكم ، فإن أحسنوا فلكم ، وإن أساءوا فلكم وعليهم » .

وهذا باب واسع جدا .

وقال أيضاً : « لعن الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . يحذر ما فعلوا . قالوا ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجدا وهذا قاله في مرضه .

وقال قبل موته بخمس : « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإنى أنهاكم عن ذلك » .

ولما ذكر كنيسة الحبشة قال : « أولئك إذا مات الرجل فيهم بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك التصاوير ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .

وكل هذه الأحاديث في الصحاح المشاهير .

وقال أيضاً : « لعن الله زوارات القبور ، والمتخذين عليه

(١) قال أبو تراب : أخرجه ابن ماجه والبيهقى عن ابن مسعود .

المساجد والسرج » . رواه الترمذى وغيره وقال : حديث حسن .

فإذا كان النبى ﷺ قد لعن الذين يتخذون على القبور المساجد ، ويسرجون عليها الضوء ، فكيف يستحل مسلم أن يجعل هذا طاعة وقربة !! .

وفي صحيح مسلم عن أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضى الله عنه قال : « بعثنى رسول الله ﷺ فأمرنى ألا أدع قبراً مشرفا إلا سويته ، ولا تمثالا إلا طمسته » .

وثبت عن النبى ﷺ أنه قال : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد » .

وقال : « لا تتخذوا قبرى عيدا ، وصلوا على حيثما كنتم ، فإن صلاتكم تبلغنى » .

فنهى النبى ﷺ عن الاجتماع عند قبره ، وأمر بالصلاة عليه في جميع المواضع ، فإن الصلاة عليه تصل إليه من جميع المواضع ، وهذه الاحاديث رواها أهل بيته ، مثل علي بن الحسين عن أبيه عن جده علي ، ومثل عبد الله بن الحسن بن علي بن أبى طالب ، فكانوا هم وجيرانهم من علماء أهل المدينة ينهون عن البدع التى عند قبره أو قبر غيره ، امتثالا لأمره ، ومتابعة لشريعته ، فإن من مبدأ عبادة الأوثان : العكوف على الأنبياء

والصالحين ، والعكوف على تماثيلهم ، وإن كانت وقعت بغير ذلك .

وقد ذكر الله في كتابه عن المشركين أنهم قالوا : ﴿ لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيراً ﴾ . وقد روى طائفة من علماء السلف أن هؤلاء كانوا قوما صالحين ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، وكذلك قال ابن عباس في قوله : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى ﴾ . قال ابن عباس : كان اللات رجلا يلت السويق للحجاج ، فلما مات عكفوا على قبره ، ولهذا قال النبى ﷺ : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد » . ونهى أن يصلى عند قبره .

ولهذا لما بنى المسلمون حجرته حرفوا مؤخرها ، وسنموه لئلا يصلى إليه [أحد] فإنه ﷺ قال : « لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلوا إليها » رواه مسلم .

وكان ﷺ إذا خرج إلى أهل البقيع يسلم عليهم ، ويدعو لهم ، وعلم أصحابه أن يقولوا إذا زاروا القبور : « سلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون ، ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم آجرهم ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم » .

هذا مع أن في البقيع إبراهيم وبناته أم كلثوم ورقية وسيدة نساء العالمين فاطمة ، وكانت إحداهن دفنت فيه قديما قريبا من غزوة بدر ، ومع ذلك فلم يحدث على أولئك السادة شيئا من هذه المنكرات ، بل المشروع التحية لهم ، والدعاء بالاستغفار وغيره .

وكذلك في حقه ، أمر بالصلاة والسلام عليه من القرب والبعد ، وقال : « أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فإن صلاتكم معروضة عليّ . قالوا : كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت : يعني : بليت . قال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

وقال : « ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام »[1] .

وكل هذه الأحاديث ثابتة عند أهل المعرفة بحديث النبى ﷺ فالدعاء والاستغفار يصل إلى الميت عند قبره وغير قبره ، وهو الذى ينبغى المسلم أن يعامل به موتى المسلمين من الدعاء لهم بأنواع الدعاء ، كما أن في حياته يدعو لهم ، وهذا رسول ﷺ قد أمرنا أن نصلى عليه ونسلم تسليما في حياته ومماته ، وعلى آل

---

(١) قال أبو تراب : رواه تمام والخطيب وابن عساكر وابن النجار عن ابى هريرة ، وبمعناه ، عنه أبو الشيخ والديلمى والبيهقى في الشعب وابن أبى الدنيا . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى : صححه ابن عبد البر .

بيته ، وأمرنا أن ندعو للمؤمنين والمؤمنات في محياهم ومماتهم ، عند قبورهم وغير قبورهم ، ونهانا الله أن نجعل لله أندادا ، أو نشبه بيت المخلوق الذى هو قبره ببيت الله الذى هو الكعبة البيت الحرام فإن الله أمرنا أن نحج ونصلى إليه ، ونطوف به ، وشرع لنا أن نستلم أركانه ، ونقبل الحجر الأسود الذى جعله الله بمنزلة يمينه . قال ابن عباس : « الحجر الأسود يمين الله في الأرض ، فمن استلمه وصافحه فكأنما صافح الله وقبل يمينه » . وشرع كسوة الكعبة ، وتعليق الاستار عليها ، وكان يتعلق من يتعلق بأستار الكعبة كالمتعلق بأذيال المستجار به ، فلا يجوز أن تضاهى بيوت المخلوقين ببيت الخالق .

ولهذا كان السلف ينهون من زار قبر النبى ﷺ أن يقبله ، بل يسلم عليه بأبى هو وأمى ﷺ ، ويصلى عليه كما كان السلف يفعلون ، فإذا كان السلف أعرف بدين الله وسنة نبيه وحقوقه ، وحقوق السابقين والتابعين من أهل البيت وغيرهم ، ولم يفعلوا شيئا من هذه البدع التى تشبه الشرك وعبادة الأوثان ، لأن الله ورسوله نهاهم عن ذلك ، بل يعبدون الله وحده لا شريك له ، مخلصين له الدين كما أمر الله به ورسوله ، ويعمرون بيوت الله بقلوبهم وجوارحهم من الصلاة والقراءة ، والذكر والدعاء وغير ذلك .

فكيف يحل للمسلم أن يعدل عن كتاب الله ، وشريعة

رسوله ، وسبيل السابقين من المؤمنين ، إلى ما أحدثه ناس آخرون ، إما عمدا وإما خطأ .

فخوطب حامل هذا الكتاب بأن جميع هذه البدع التى على قبور الأنبياء والسادة من آل البيت والمشايخ المخالفة للكتاب والسنة ، ليس للمسلم أن يعين عليها ، هذا إذا كانت القبور صحيحة ، فكيف وأكثر هذه القبور مطعون فيها ؟

وإذا كانت هذه النذور للقبور معصية قد نهى الله عنها ورسوله والمؤمنون السابقون ، فقد قال النبى ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يَعْصِه »[1] .

وقال ﷺ : « كفارة النذر كفارة يمين »[2] وهذا الحديث في الصحاح .

فإذا كان النذر طاعة لله ورسوله ، مثل أن ينذر صلاة أو صوما أو حجا أو صدقة أو نحو ذلك ، فهذا عليه أن يفى به ، وإذا كان النذر معصية كفرا أو غير كفر ، مثل أن ينذر للأصنام كالنذور التى بالهند ، ومثلما كان المشركون ينذرون لآلهتهم ، مثل اللات التى كانت بالطائف ، والعزى التى كانت بعرفة قريبا

---

(١) قال أبو تراب : أخرجه الإمام أحمد ، والبخارى عن عائشة .

(٢) قال أبو تراب : أخرجه أحمد ومسلم ، عن عقبة بن عامر .

من مكة ، ومناة الثالثة الأخرى التى كانت لأهل المدينة ، وهذه المدائن الثلاث هى مدائن أرض الحجاز ، كانوا ينذرون لها النذور ، ويتعبدون لها ، ويتوسلون بها إلى الله في حوائجهم ، كما أخبر الله عنهم بقوله : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ . ومثلما ينذر الجهال من المسلمين لعين ماء ، أو بئر من الآبار ، أو قناة ماء أو مغارة ، أو حجر ، أو شجرة من الأشجار ، أو قبر من القبور ، وإن كان قبر نبى أو رجل صالح ، أو ينذرون زيتا أو شمعا أو كسوة أو ذهبا أو فضة لبعض هذه الأشياء ، فإن هذا كله نذر معصية لا يوفى به .

لكن من العلماء من يقول : على صاحبه كفارة يمين . لما روى أهل السنن عن النبى ﷺ : « لا نذر في معصية ، وكفارته كفارة يمين » . وفي الصحيح عنه أنه قال : « كفارة النذر كفارة يمين » .

وإذا صرف من ذلك المنذور شىء في قربة من القربات المشروعة كان حسنا ، مثل أن يصرف الدهن إلى تنوير بيوت الله ، ويصرف المال والكسوة إلى من يستحقه من المسلمين من آل بيت رسول الله ﷺ ، وسائر المؤمنين ، وفي سائر المصالح التى أمر الله بها ورسوله .

وإذا اعتقد بعض الجهال أن بعض هذه النذور المحرمة قد

قضت حاجته بجلب المنفعة من المال والعافية ونحو ذلك ، أو بدفع المضرة من البدن ونحوه ، فقد غلط في ذلك فقد صح عن النبى ﷺ أنه نهى عن النذر وقال : « إنه لا يأتى بخير ، ولكنه يستخرج به من البخيل » . فعد النذر مكروها ، وإن كان الوفاء به واجباً إن كان النذر طاعة لله ورسوله ﷺ .

وقد أخبر النبى ﷺ أن النذر لا يأتى بخير ، وإنما يسخرج به من البخيل ، وهذا المعنى قد ثبت عن النبى ﷺ من غير وجه ، فيما كان قربة محضة لله ، فكيف ينذر فيه شرك ، فإنه لا يجوز نذره ولا الوفاء به .

وهذا وإن كان قد غمر الإسلام ، وكثر العكوف على القبور التى هى للصالحين من أهل البيت وغيرهم ، فعلى الناس أن يطيعوا الله ورسوله ، ويتبعوا دين الله الذى بعث به نبيه ﷺ ، ولا يشرعوا من الدين مالم يأذن به الله ، فإن الله إنما أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله ، وليعبدوا الله وحده لا شريك له .

كما قال تعالى : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمٰن آلهة يعبدون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا

الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ .

وقال تعالى فى حق الذين كانوا يدعون الملائكة والنبيين ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ .

وقال : ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ .

ورد على من اتخذ شفعاء من دونه فقال : ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون شيئا ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون . وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون . قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ .

وقال : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله

والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وكم من ملك في السموات لاتغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ .

قال : ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ .

وكتب الله من أولها إلى آخرها تأمر بإخلاص الدين لله ، لا سيما الكتاب الذى بعث به محمد ﷺ ، أو الشريعة التى جاء بها ،فإنها كملت الدين ، قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ .

وقال : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ .

وقد جعل قوام الأمر بالإخلاص لله ، والعدل في الأمور كلها ، كما قال تعالى : ﴿ قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة ﴾ .

ولقد خلص النبى ﷺ التوحيد من دقيق الشرك وجليله ،

حتى قال : « من حلف بغير الله فقد أشرك » . رواه الترمذي وصححه . وقال : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » . وهذا مشهور فى الصحاح . وقال : « لايقولن أحدكم ماشاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا ماشاء الله ، ثم شاء محمد » . وقال له رجل : ما شاء الله وشئت . فقال : « اجعلتنى لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده » . وروى عنه أنه قال : « الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل »(١) . وروى عنه أن الرياء شرك .

وقال تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ .

وعلم بعض أصحابه أن يقول : « اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم ﴾ .

ومن هذا الباب الذين يسألون الصدقة أو يعطونها لغير الله ، مثل من يقول : لأجل فلان ، إما بعض الصحابة ، أو بعض

(١) قال أبو تراب : أخرجه الحكيم في النوادر ، عن ابن عباس وأبى بكر ، وأخرجه أحمد والحاكم وأبو نعيم ، عن عائشة ، وأخرجه أحمد عن ابى موسى ، وأخرجه البخارى في الأدب المفرد ، وأبو يعلى وابن السنى عن أبى بكر وهو حديث صحيح ، (أنظر الأحاديث الضعيفة للألبانى ٣٧٥٥) .

أهل البيت ، حتى يتخذ السؤال بذلك ذريعة إلى أكل أموال الناس بالباطل ، ويصير قوم ممن ينتسب إلى محبة آل البيت يعطى الناس ، وآخرون ممن ينتسب إلى السنة يعطى الآخرين ، والشيطان قد استحوذ على الجميع ، فإن الصدقة وسائر العبادات لا يشرع أن تفعل إلا لله ، كما قال تعالى :

﴿ وسيجنبها الأتقى . الذى يؤتى ماله يتزكى . ومالأحد عنده من نعمة تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ .

وقال : ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل ﴾ .

وقال : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ﴾ .

وقال تعالى كلمة جامعة : ﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة . وما أمروا إلا ليعبدوا الله

مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ .

وعبادته تجمع الصلاة وما يدخل فيها من الدعاء والذكر وتجمع الصدقة والزكاة بجميع الأنواع ، من الطعام واللباس والنقد وغير ذلك .

والله يجعلنا وسائر إخواننا المؤمنين مخلصين له الدين ، نعبده ولا نشرك به شيئاً ، معتصمين بحبله ، متمسكين بكتابه متعلمين لما أنزل من الكتاب والحكمة ، ويصرف عنا شياطين الجن والإنس ، ويعيذنا أن تفرق بنا عن سبيله ، ويهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما كثيراً